« انفجار »

فيلم تسجيلى ملون فى نصف ساعة

سيناريو واخراج : عبد القادر التلمسانى
مدير التصوير : حسن التلمسانى
مونتاج : حسين عفيفى
المادة العلمية : دكتور ميلاد حنا
تعليق : صلاح حافظ
موسيقى : عبد العظيم عويضة
سلام الدين مصطفى
مهندس الصوت : كمال عبد الله
انتاج سنة ١٩٧٩ [الهيئة العامة للاستعلامات] .

الموضوع :

يصور الفيلم القاهرة الكبرى بكل ما تحتويه من معالم أثرية ، من أقدم عصور المسيحية إلى أحدث عصور الإسلام .. كما يصور القاهرة الحديثة وكورنيش النيل ، والعمارات الشاهقة ، والحياة المترفة ، وأضواء المحلات التجارية والنوادى الليلية التى تحيل ظلام الليل إلى نهار دائم .

ويطرح الفيلم قضية الانفجار السكانى فى القاهرة من حيث مصادرها وآثارها الظاهرة على حركة المرور ، والمواصلات ، والتموين ، والتعليم ، وازجاء أوقات الفراغ ، والمرافق العامة .

التعليق :

● القاهرة عند المصريين هى الجنة على الأرض ، وهم يسمونها « مصر » .. لأن كل ما هو جميل فى مصر يتلخص فيها : الحضارة والذوق والجمال والثراء وفرص العمل والنجاح .

obeikandi.com

مدينة هى النور والمصريون فراش ينجذب إليه.

● لكن الصورة فى الريف تختلف، ومستوى الحياة يختلف، ولهذا فكل يوم يمضى يهجر البعض حقولهم وقراهم ويزحفون بأعداد متزايدة على مدينة أحلامهم أم الدنيا.. القاهرة.

● يزحف المصريون على القاهرة لأسباب مختلفة، أهمها فرص العمل. ففى القاهرة ثلث أعمال الصناعة والإنشاء، ووظائف الحكومة، ونصف الأعمال المالية والمصرفية فى السوق المصرى كله.

● الحكومة أيضاً تقيم فى القاهرة.. بكل وزاراتها ومصالحها ومصالح الناس التى تستلزم زيارة مكاتبها. ولم يبدأ إلا أخيراً نقل سلطات الدولة إلى المحافظات.

● تتمتع القاهرة أيضاً بأعرق جامعات مصرية
أولها: جامعة القاهرة..

ثم ابنتها البكر، جامعة عين شمس..

وفوق هذا كله، جامعة الأزهر.. أقدم جامعات مصر والعالم.

● وفى القاهرة يفتح أشهر أطباء مصر عياداتهم.. ولا يطمئن المريض على نفسه إلا فى مستشفياتها.

● تنفرد القاهرة أيضاً بأشهر المزارات الدينية عبر التاريخ، من أقدم عصور المسيحية إلى أحدث عصور الإسلام.. الكنيسة المعلقة، مقر البطاركة لعدة قرون ماضية.. كنيسة أبو سرجة، التى يروى التاريخ أن المسيح اختبأ فيها وهو طفل.. كنيسة مارجرجس، شفيع المصريين والأجانب.. كاتدرائية الأقباط، مقر البابا وساحة لقائه برعيته وطالبى البركة منه.

● أما المسلمون، فلهم فى القاهرة ألف مئذنة.. ومزارات عدة: مقام الحسين وحده يجذب من خارج القاهرة أكثر من مليون زائر كل عام.

مقام السيدة زينب يجتذب فى العام أقل من مليون زائر آخر.

أمـا الجامع الازهر فهو جامع الإسلام وجامعته على امتداد ألف عام.. وموقعه من الدين لا ينافسه إلا موقعة من التاريخ والتراث والحضارة.. وما أكثر معالم التاريخ والتراث والحضارة التى تنفرد بها القاهرة.

جامع ابن طولون، أقدم من الأزهر.
جامع برقوق، من العصر المملوكى.

جامـع قلاوون، صفحة أخرى من روائع كتاب التاريخ الإسلامى الذى تنفرد به القاهرة. نفس التاريخ الذى يواصل النبض والحياة فى شوارع مثل الغورية أو خان الخليلى أو حى الجمالية حيث يعيش القاهريون تاريخهم ويتنفسون عطر العراقة والسحر القديم.

● لكن سحر القاهرة الحديثة هو الذى يجذب معظم الزاحفين عليها. كورنيش النيل والعمارات الشاهقة، والحياة المترفة، وأضواء المحلات التجارية والنوادى الليلية التى تحيل ظلام الليل إلى نهار دائم.. ولكن ماذا جلب على القاهرة هذا الإغراء وماذا فعل بها زحف الملايين عليها؟.

● أصبح مجرد السير فى شوارع القاهرة معركة حامية، يتلاطم فيها يومياً أكثر من ربع مليون سيارة وأتوبيس وترام ومترو، وخمسة عشر ألف موتوسيكل، ومائة ألف حصان وحمار.. ثلاثة أضعاف طاقة الشوارع.. عناء حقيقى لرجال المرور والسائقين والمارة، ومناخ نصفه دخان.. ونصفه صراخ.

يالله! ما أسعد المصابين بالصمم!

● وما أجل الهدوء فى محطات الأتوبيس فى بداية كل يوم قبل أن تبدأ المعركة. يصعد فى البداية راكب، واثنان، وثلاثة يحتلون المقاعد المتاحة، ثم شيئاً فشيئاً يتصاعد الطوفان ويتحول أكثر من ألفى أوتوبيس وترام ومترو، فى أوقات الذروة، إلى علب مكدسة تنقل كل يوم أربعة ملايين راكب، يتصارعون داخلها.. وخارجها أيضاً.

● ومع هذا لا يكف الزحف من الأقاليم على القاهرة، ومواقف سيارات الأقاليم تعمل أربعاً وعشرين ساعة فى اليوم لكى تضيف آلافاً لا تنقطع من الوافدين.

● بعضهم للزيارة.. وبعضهم للإقامة. وكلهم يضيف إلى أعباء القاهرة.. يكفى عبء الطعام فقط.. صوامع الغلال كأنها تصب فى بالوعة.. والمطاحن لا تعرف الراحة لأن القاهرة تطالبها بأن تطحن لها فى اليوم الواحد أكثر من ألفين وخمسمائة طن من القمح.

● ولا تعرف الراحة المخابز أيضاً، فالمطلوب منها فى اليوم الواحد أكثر من ٢٥ مليون رغيف.

وتدخل الآلة السباق المجنون من أجل ملء معدة القاهرة. وتعمل المخابز الآلية بدورها بدون أجازة.

● ومع ذلك فإن الزحام كثيراً ما يشتد حول منافذ توزيع الخبز، لأن سيل الأرغفة التى يصب فيها أكبر من طاقاتها على التصريف.. ولا يختلف الحال فى أسواق الخضر والفاكهة. صحيح أنها أسواق ضخمة تستقبل أكثر من ألف طن من الطعام كل يوم.. ولكن الحركة داخلها أو حتى مجرد الوصول إليها.. صار مشكلة.

والنتيجة أن عدداً متزايداً من أرصفة الشوارع يتحول إلى أسواق خضار.. وأحياناً لا يتحول الرصيف وحده بل وأنهار الشارع كله.. وتضاعف هذه الأسواق طبعاً من أزمة المرور، ومن متاعب شرطة المرافق التى ما تكاد تزيل سوقاً حتى ينشأ غيره.

● لا يخف من أزمة توزيع السلع فى القاهرة إلا المجمعات الاستهلاكية ومحال القطاع العام.

وبرغم زحامها فانه يستحيل تصور أسواق القاهرة بدون خدماتها.. فمواطن القاهرة يستهلك ضعف ما يستهلك المواطن فى الريف. وهذا أيضاً من إغراءات القاهرة.

ولا تتحمل أسواق القاهرة أهلها فقط.. وإنما يزحف على هذه الأسواق أهل الريف أيضاً خاصة فى المواسم والأوكازيونات.

● ولا تقل جامعات القاهرة زحاماً عن أسواقها.. وهذا الزحام يؤثر على مستوى التعليم لأنه يفوق طاقة المدرجات والمعامل والأساتذة.

● أما المدارس فقدرتها على أداء رسالتها فى القاهرة معجزة. وأية معجزة أبلغ من تنوير هذا الطوفان المصمم على أن يتعلم.

● حتى حدائق القاهرة الشهيرة لم تعد أماكن للمتعة والهواء الطلق، فنصيب المواطن من الخلاء لا يزيد الآن على متر مربع واحد.

● علبة السردين هذه كان اسمها ذات يوم حدائق شبرا.

● أما حديقة حيوان الجيزة ذات الشهرة العالمية فإنها تتحول فى المواسم والأعياد إلى أقفاص للآدميين. وتهرب الحيوانات وتختفى فى أقفاصها الأرحب.

● وتلعب المناسبات الدينية دورها أيضاً فى زحام القاهرة. يحل مولد السيدة زينب مثلاً فيضيف إلى أهل القاهرة مليوناً من أهل الريف تضيق بهم المساكن والفنادق فيحوّلون الشوارع والمساجد إلى بيوت يعيشون فيها. يأكلون وينامون.

● وتحل أعياد المسيحيين فيتدفقون كالسيل لكى يؤدون صلوات الأعياد مع قياداتهم الدينية.

وتتكرر المناسبات الدينية فى القاهرة عدة مرات كل عام.
وفى كل مرة تزحف آلاف جديدة من فراش الريف الذى تبهره أضواء المدينة.

● ثم تنفض المناسبة. ولكن بعض الذين جاءوا بسببها لا يعودون.. تعجبهم القاهرة فلا يغادرونها.. ويضيفون أنفسهم إلى أهلها.. وتفتح لهم أم الدنيا ذراعيها ولا تمانع فى بقائهم.

● لكنها تدفع الثمن.. يتفاقم العناء فى شوارعها.. وتنفجر تحت أرضها مواسير المجارى وشرايين المياه.

لكن الواجهة الجميلة للقاهرة تظل فتنة للناس.. يزحفون عليها من كل مكان وفى خيال كل مهنهم أنها الجنة.. وأن له فيها مكانا يناديه.

● ● ●